التأويل السياقي وتحليل الإشارة في التعبير: تفسير الكشاف أنموذجًا

أ.م.د. هديل رعد تحسين
جامعة الانبار / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

hadeelrt@uoanbar.edu.iq

الملخص :

يعد التأويل السياقي وتحليل الإشارة في التعبير من المفاهيم الرئيسة في الدراسات اللغوية والتفسيرية، حيث يسهم في الكشف عن المعاني الدقيقة للنصوص، خاصة في النصوص القرآنية التي تتسم بالثراء الدلالي والتراكيب البلاغية المعقدة، ويُعد تفسير «الكشاف" للزمخشري نموذجًا بارزًا في هذا المجال، إذ يعتمد على تحليل السياقات المختلفة للكشف عن المعاني العميقة، مستندًا إلى علوم اللغة والبلاغة، تبرز أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على منهجية التأويل عند الزمخشري وأثرها في تحليل الإشارات اللغوية والتعبيرية داخل النصوص التفسيرية.

الكلمات المفتاحية : (تأويل – سياق – تعبير – اشارة – تفسير)

Summary

Contextual interpretation and allusion analysis are key concepts in linguistic and exegetical studies. They contribute to uncovering the subtle meanings of texts, especially in Quranic texts characterized by semantic richness and complex rhetorical structures. Al-Zamakhshari's interpretation of "Al-Kashshaf" is a prominent model in

this field, as it relies on analyzing different contexts to uncover deeper meanings, drawing on the sciences of language and rhetoric. The importance of this research lies in shedding light on Al-Zamakhshari's hermeneutical methodology and its role in analyzing linguistic and expressive allusions within exegetical texts.

Keywords: (interpretatio - context - expression - indication – explanation)

المقدمة

يُعَدّ التأويل أحد أهم الأدوات التي يعتمد عليها المفسرون لفهم النصوص وتوضيح معانيها، وخاصة في تفسير القرآن الكريم، حيث تتداخل عناصر اللغة والسياق والإشارات الدالة على المعاني المرادة ، ومن بين التفاسير التي اهتمت بمسألة التأويل السياقي وتحليل الإشارات اللغوية، يبرز تفسير الكشاف للزمخشري، الذي تميز بمنهجه البلاغي والدلالي العميق.

يتناول هذا البحث مفهوم التأويل السياقي وتحليل الإشارة في التعبير، مع التركيز على تفسير الكشاف بوصفه إنموذجاً تطبيقياً، تبرز أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على منهجية التأويل عند الزمخشري ودورها في تحليل الإشارات اللغوية والتعبيرية داخل النصوص التفسيرية.

- **هدف الدراسة** : تهدف هذه الدراسة إلى:

١.تحليل مفهوم التأويل السياقي وأثره في استنباط المعاني.

٢.استكشاف منهجية الزمخشري في تفسير الإشارات اللغوية في "الكشاف".

٣.بيان أثر السياق في تحديد الدلالات النصية وتأويلها.

٤.دراسة العلاقة بين علم البلاغة والتأويل السياقي عند المفسرين.

-**صعوبات الموضوع** : يواجه البحث في هذا المجال عدة صعوبات، منها:

•التداخل بين المفاهيم: إذ يتطلب التمييز بين التأويل والتفسير والاستنباط.

•تنوع السياقات: إذ تختلف دلالات الألفاظ باختلاف السياقات النصية والزمانية والمكانية.

•التعقيد البلاغي: نظراً لاعتماد "الكشاف" على أساليب بلاغية متشعبة تتطلب تحليلاً دقيقًا.

•التأويل الكلامي والمذهبي: إذ أن للزمخشري توجهًا اعتزالياً ينعكس على تفسيره، مما يستلزم دراسة متأنية للفصل بين المنهج اللغوي والتوجه العقدي.

-**أهم الفرضيات**

•التأويل السياقي يمثل عاملاً حاسمًا في فهم دلالة النصوص التفسيرية.

•تفسير "الكشاف" يقدم نموذجًا متقدمًا في تحليل الإشارات التعبيرية وفق منهج لغوي وبلاغي دقيق.

يمثل هذا البحث محاولة لاستكشاف الآليات التأويلية التي اعتمدها الزمخشري في تفسيره، مما يسهم في تطوير الدراسات اللغوية والتفسيرية المعاصرة.

ويقوم البحث على تمهيد يوضح الأسس النظرية للموضوع من خلال ثلاثة محاور رئيسة تعريفها (لغة واصطلاحاً) .

١.مفهوم التأويل

٢.مفهوم السياق

٣.مفهوم الإشارة

وتتضمن الدراسة ثلاثة مباحث رئيسة تتناول أنواع الإشارات الواردة في تفسير الكشاف، وهي:

١.الإشارة الزمانية: تتناول كيفية توظيف الزمن في فهم النصوص وتأويلها، وأثر السياق الزمني في تحديد المعاني.

٢.الإشارة المكانية: تركز على دور المكان في التأويل، وكيفية ارتباط المفاهيم القرآنية بمواقعها الجغرافية ودلالاتها البلاغية.

٣.الإشارة الشخصية: تبحث في الإشارات المتعلقة بالأشخاص، سواء الأنبياء أو الصحابة أو غيرهم، وتأثيرها في توجيه المعنى داخل النص.

عقدت الدراسة بخاتمة : تتضمن الخاتمة تلخيصًا لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع إبراز أثر التأويل السياقي في فهم النصوص القرآنية من خلال تفسير الكشاف. كما تشير إلى أهمية دراسة السياقات والإشارات في التفسير، مما يفتح آفاقًا جديدة أمام الباحثين في مجال الدراسات اللغوية والتفسيرية.

وبعدها قائمة المصادر والمراجع :تتضمن القائمة أهم الكتب والمراجع التي اعتمد عليها البحث، ومنها كتب التفسير، والدراسات اللغوية، والبلاغية، إضافة إلى المصادر الحديثة في تحليل الخطاب القرآني.

-أهم التوصيات التي يمكن أن يقدمها الباحث من خلال دراسته

بناءً على تحليل التأويل السياقي والإشارات اللغوية في تفسير الكشاف، يمكن للباحث أن يوصي بالآتي:

١. تعميق دراسة التأويل السياقي في التفسير

- ضرورة الاستمرار في دراسة التأويل السياقي في التفاسير المختلفة، وخاصة في ضوء المناهج الحديثة في تحليل الخطاب.

- التركيز على العلاقة بين التأويل والسياق في استنباط الأحكام الشرعية والمعاني البلاغية.

٢. الاهتمام بالإشارات اللغوية في فهم النصوص الدينية

- دراسة دور الإشارات الزمانية والمكانية والشخصية في التأويل، ومدى تأثيرها في تحديد المعاني بدقة.

- ربط تحليل الإشارات اللغوية بالمناهج اللسانية الحديثة لفهم أعمق للنصوص القرآنية.

٣. توظيف المناهج الحديثة في تحليل التفسير

-استخدام المناهج الحديثة، مثل تحليل الخطاب والأسلوبية، في دراسة التفاسير التراثية لإبراز أبعاد جديدة في فهم النصوص.
-الافادة من علم الدلالة والتداولية في تحليل التأويلات التي يقدمها الزمخشري.
٤. تطوير مناهج تدريس التفسير والبلاغة بناءً على التأويل السياقي
-إدراج دراسة التأويل السياقي وتحليل الإشارات ضمن مناهج علوم القرآن والتفسير في الجامعات.
-تعزيز دور البلاغة وعلم المعاني في تدريس التفسير، لتوسيع فهم الطلاب لكيفية تأويل النصوص.
هذه التوصيات تسهم في تطوير الدراسات التفسيرية، وتعزز فهم النصوص الدينية من خلال منهج علمي يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

التمهيد

- : مفهوم التأويل
-: مفهوم السياق
-- : مفهوم الاشارة
-اولا : (التأويل لغةً واصطلاحا)
-التأويل لغة : مصدر أول ، واصل الفعل : آل الشيء يؤول أولاً: اذا رجع ، تقول : آل الأمر الى كذا ، أي رجع اليه (١)
-وفي الاصطلاح : هو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر الى معنى مرجوح ، لا عضاده بدليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الظاهر ،ومن ثم يتعين الأخذ به لا بالمعنى الظاهر (٢) .
والتأويل مرادف للتفسير ، الا ان التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط فيكون التفسير أعم من التأويل ، لان الاول بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل ، اما الثاني فهو بيان مدلول اللفظ مطلقا بالمتبادر او بغير المتبادر (٣) .

وشروط التأويل
- موافقة التأويل لوضع اللغة وعرف الاستعمال .
- وجود دليل على ان المراد في اللفظ هو المعنى الذي حمل عليه وأول الظاهر اليه .
- يمكن ان يكون دليل التأويل قياسا وفي هذه الحالة يشترط ان يكون جليا لا خفيا . (٤)
ثانياً : (السياق لغةً واصطلاحاً)
- السياق لغة : يقول ابن فارس في مقاييس اللغة « السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدود الشيء ، ساق يسوق سوقا وسياق « (٥) والجمع سياقات وأنساقت الابل تساوقا اذا تتابعت ... والمتساوقة المتتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً (٦) .
- السياق اصطلاحاً : يعرفه هاليدي بأنه : « النص الآخر او النص المصاحب للنص الظاهر وهو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية ولذا يعد بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته

اللغويــة « (٧) .
ويذكـر الدكتـور أحمـد مختـار عمـر اقسـام السـياق وهـي :
١-السـياق اللغـوي : السـياقات اللغويـة للفظـة
٢-السـياق العاطفـي : الـذي تحـدده درجـة الانفعـال
٣-سـياق الموقـف : أو الموقـف الخارجـي الـذي يمكـن أن تقـع فيـه الكلمـة .
٤-السـياق الثقـافي : ويقتـضي تحديـد المحيـط الثقـافي والاجتماعـي الـذي يمكـن أن تسـتخدم فيـه الكلمـة .
٥-سـياق القرائـن : وهـو مـا يطلـق عليـه السـياق النـصي و الوجـودي والمقامـي وسـياق الفعـل والسـياق النفـسي (٨)
ثالثاً: الاشارة
دلالـة الاشـارة هـي دلالـة التزاميـة لمعنـى اللفـظ ، لم يكـن السـياق لأجلهـا ، لكنـه يعلـم بالتأمـل في معنـى اللفـظ ؛ إذ يحتـاج الوقـوف عليهـا الى تأمـل فهـي لازم للمعنـى الـذي سـيق الـكلام لأجلـه والحكـم يؤخـذ مـن اشـارة اللفـظ لا مـن اللفـظ نفسـه (٩) ، وقولنـا إن دلالـة الإشـارة دلالـة التزاميـة لمعنـى اللفـظ أي ان اللفـظ يـدل عـلى معنـى لم يوضـع لـه ولكـن لازم للمعنـى الـذي وضـع لـه اللفـظ فسـميت التزاميـة لان معنـى المسـتفاد لم يـدل عليـه اللفـظ بصيغتـه نفسـها ، ولكـن معنـاه يلـزم منـه في العقـل او العـرف او الـشرع اي ان اللفـظ يشـير الى هـذا المعنـى المسـتفاد بطـرق الالتـزام لا صيغـة اللفـظ (١٠) ، تعـد الإشـاريات الدرجـة الأولى مـن درجـات التحليـل التـداولي ، عـلى حـد تقسـيم (هانسـون) وهـي : العلامـات اللغويـة التـي لا يتحـدد مرجعهـا إلا في سـياق الخطـاب التـداولي الـذي وردت فيـه ، فهـي خاليـة مـن أي معنـى في نفسـها ؛ لذلـك سـميت مبهـمات (١١) .
وهـذا يقودنـا إلى القـول : إن هـذه الإشـاريات قـد تكـون صريحـة تظهرهـا في الملفـوظ أو ضمنيـة وهـي الأغلـب نحتفـظ بهـا في الكفايـة الإبلاغيـة ، وغلبتهـا متأتيـة مـن اسـتقرارها في بنيـة الخطـاب العميقـة ، عنـد التلفـظ بـه ، وهـذا مـا يعطيهـا دورهـا التـداولي في اسـتراتيجية الخطـاب وذلـك ؛ لأن التلفـظ يحـدث مـن ذات بسـمات معينـة ، وفي مـكان وزمـن معينـين ؛ هـما مـكان التلفـظ ولحظتـه ، إذ تجتمـع في الخطـاب الواحـد عـلى الأقـل ثـلاث إشـاريات هـي : « الأنـا، الهنـا ، الآن « ، فـلا يمكـن أن تتـم عمليـة التلفـظ مـن دون حضـور هـذه الأدوات الإشـارية الثـلاث ؛ لأنهـا تعنـي أن الخطـاب الملفـوظ يمثـل وحـدة غـير قابلـة للتجـزيء، إذ يتـم فيـه البحـث عـن المرجـع ، أي المكـون الأسـاس الـذي تبحـث فيـه التداوليـة ، فـإذا غـاب واحـد مـن هـذه المكونـات الخطابيـة غـاب المرجـع(١٣) وبالنظـر لأثـر الإحالـة في فهـم الخطـاب أولتهـا الدراسـات النصيـة والتداوليـة أهميـة بالغـة فالتخاطـب الإنسـاني يقـوم أساسـا على

تحديد مرجعيات الخطاب وهي التي تمنحه بعده الحقيقي في التأدية ؛ لأنها ((تربط بين السياق اللغوي وسياق الموقف أي الواقع الاجتماعي التي قيلت فيه العبارة اللغوية (١٤) .

وبلحاظ ذلك قسمت الإشاريات على ثلاثة أنواع رئيسة هي: الإشاريات الشخصية ، والإشاريات الزمانية ، والإشاريات المكانية

المبحث الاول

الاشارة الزمانية

ويعرف هذا النوع من الإشارات بأنه: كلمة تدل على زمن يحدد على أساس السياق الذي ترد فيه على غرار زمن الكلام، بحيث يكون زمن الكلام هو المركز الإشاري للإشارة الزمنية في الكلام، وإذا كان زمن الكلام أو مركز الإشارة الزمنية غير معروف، فإن السامع أو القارئ في حيرة من أمره (١٥). فمثلاً: إذا قلت بعد أسبوع، أو اليوم، أو بعد شهر، أو بعد سنة، فإن المعنى سيختلف، وكذلك إذا قلت: أراك الساعة العاشرة ، فإن وقت وسياق الكلام يحددان معنى الساعة العاشرة : اليوم صباحاً أو مساءً، أو اليوم التالي صباحاً أو مساءً (١٦) فالمستمع لا يستطيع أن يعتمد على إشارة الساعة العاشرة وحدها لمعرفة وقت اللقاء، بل يجب عليه أن يتعرف على لحظة النطق، ويستخدمها كنقطة مرجعية ويفسر العناصر اللغوية للكلام على أساس تلك المعرفة" (١٧).

عندما يقول المتكلم: إن عبارة (صباحًا) هي التي تحدد مركز الدلالة الزمنية بالنسبة إلى السامع (١٨)، من دلالة زمنية لا يتضح معناها إلا بالإشارة إلى زمن معين بالنسبة إلى زمن التكلم: أمس، وغدًا، والآن، واليوم، والأسبوع، والسنة، ونحو ذلك. (١٩)

ومن تأمل هذه العلامات أدرك أنها قد تدل على زمن الكون). ويفترض أنها تنقسم إلى الفصول والسنين والشهور والأيام والساعات وغيرها، أو تسمى هذه الأحوال بالغموض الزمني، ولا تنكشف دلالتها الزمنية إلا بمعرفة لحظة التحدث المنطوق أو المشافهة، أو وقت وقوع الحدث (٢٠).

وَلَا يَقْتَنِعُ الْمُفَسِّرُ بِهَذَا الْإِجْمَالِ وَيُبَيِّنُ وَجْهَ تَقْدِيمِ اسْمِ الزَّمَانِ (الْآنَ) عَلَى اسْمِ الْإِشَارَةِ بِأَنَّ التَّقْدِيمَ جَاءَ لِإِفَادَةِ التَّخْصِيصِ وَهُوَ قَصْدُ التَّعْيِينِ الْمُفِيدِ لِتَعْيِينِ زَمَنٍ مُعَيَّنٍ مِنْ أَزْمِنَةِ الْإِشَارَةِ إِلَى زَمَنِ الِاعْتِرَافِ الَّذِي جَاءَ مُتَأَخِّرًا بَعْدَ سِنِينَ مِنْ سِجْنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَانَ ذَلِكَ الِاعْتِرَافُ لِلْإِشَارَةِ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الِاعْتِرَافُ، أَيْ: الْوَقْتُ الَّذِي اقْتَضَى صِدْقَ النِّسْوَةِ بَعْدَ اعْتِرَافِهِنَّ قَبْلَهَا، وَفِيهِ مَعْنَى الْإِشَارَةِ (٢١) .

وعلى هذا فإن (الآن) دليل لغوي قائم على علاقة ثنائية بين زمن وقوع الحدث في الحاضر، وزمن وقوع الحدث المخبر عنه الذي وقع في زمن مضى، وهو دليل على المعنى المكاني (٢٢). ويمكن ملاحظة

ذلك من قوله في بيان معنى (الآن) في قوله: (أي: ليس قبلُ، بل الآن). فَإِنَّهَا لِبَيَانِ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ كَانَ زَمَنَ كَذِبٍ ". وَهُوَ وَقْتُ الْإِنْكَارِ عَلَى مُرَاوَدَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ".

وقد يكون المفسر في الخطاب القرآني قد استحضر في الخطاب القرآني الدلالة الزمنية لظرف الزمان (يوم) في بعده التداولي. وذلك لأنه لم يتجاوز حدود الاستعمال الشائع في اللغة حين يراد به تحديد الأحداث التواصلية للأعراف الروحية. وإذا ما اعتمدنا الإشارة إلى يوم القيامة بقصد أو استعمال يعكس العلاقة بين المتكلم والمعبَّر عنه، أو بين المعبَّر عنه وموضوع الكلام، فإن الإشارة لم تكن قد نشأت بعدُ عند متلقي القرآن، وتعددت احتمالات الإشارة إلى هذا الظرف حتى الآن (٢٣).

إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) قوله: (ذلِكَ الْيَوْمَ) التعريف في (ذلك اليوم) للعهد، وهو يوم القيامة الذي هذا القول فيه، ولما كان لفظ (ذلك اليوم) عاما، فإن حمل الغمرات على معنى النزع عند الموت، فاليوم مستعمل للزمان، أي: الوقت الذي تقبض فيه الروح)) (٢٦).

ويتضح من النص المفسر أن الإشارة الزمنية لظرف الزمان (يوم) قد تختلف باختلاف الزمان والمكان الذي صدر فيه الكلام. فإذا كان اللفظ يحتمل أن يكون الكلام قد صدر في يوم مختلف عن الزمان والمكان الذي اعتاد الناس عليه فقد يشير إلى يوم القيامة وحسب هذا الفهم فإن كلمة (يوم) اصطلاح عقلي وبما أنها تشير إلى اصطلاح ذهني، فإن المفهوم يتركز في ذهن المخاطب وكأنه عاش تلك المشاهد في الزمان والمكان الذي نطق فيه بكلمة (يوم) (٢٧).

وهذا يعني، في نظر الشارح، أن يوم القيامة لم يقع بعد، ولكن المتكلم أو المتلقي سيراها ويحضر في ذهنه من خلال تكرار قراءة مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم، وعلى هذا الأساس، يرى علماء التداولية أن الألفاظ تكتسب معانيها من خلال الاستعمال والعلاقة مع المستعمل وحالة الاكتفاء (ويتضح هذا أيضاً في وصف الشارح ليوم القيامة: فهو يستند في إشارته إلى احتمال أن يكون اليوم هو (وقت قبض الروح) إلى قرينة لفظية في النص، فإذا كانت كلمة (غمرات) تعني الموت، فإن الإشارة الزمانية هي إلى زمان النطق ومكانه وهي إشارة زمانية مرتبطة باللحظة، وهذا الزمان هو (اليوم) (٢٨).

-الإشارة الزمانية عبر أسماء الإشارة :

لا تقتصر دراسة الدلالات الزمنية على الظروف الزمنية (الزمن الكوني) أو صيغ الأفعال ذات السياق (الزمن النحوي). قد

تشارك أسماء الإشارة أيضًا.

وتدل هذه العلامات على وجود تطابق زمني بين زمن الإشارة، وزمن النطق وزمن المشار إليه (٢٩). ويمكن بيان ذلك عبر معالجات الزمخشري ومنها تفسير قوله تعالى : هَـذَا يَـوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ) (المرسلات : (٣٨) ، قائلاً : ((وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَشْهَدِ الذي يُشَاهِدُونَهُ مِنْ حُضُورِ النَّاسِ وَمُعَذَاتِ العَرْض وَالْحِساب لفصل الْقَضَاءِ بِالْجَزَاءِ وَالْإِخْبَارُ عن اسم الإشارة بأنه يَوْمُ الفصل) باعتبار أنهم يتصوَّرُونَ ما كَانُوا يَسْمَعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ مُحَاجَةٍ عَلَيْهِمْ لِإِثْبَاتِ يَوْمٍ يَكُونُ فِيهِ الْفَصَلُ وَكَانُوا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَمَا يَتَعَذَّرُونَ بِما يقع فيه، فصارت صورة ذلك اليوم حاضرة في تصورهم دون إِيمَانِهِمْ بِهِ، فَكَانُوا الْآن متهيئين لأن يُوقِنُوا بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الذي كَانُوا يُوعَدُونَ بِخُلُولِهِ، وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ الْيَوْمُ مِنْ قَبْلُ بِأَنَّهُ يوم الفصل ... أي القضاء وَقَدْ رَأَوْا أَهَبَةَ الْقَضَاءِ)) (٣٠) .

ويذهب المفسرون إلى أن اسم الإشارة (هذا) يشير إلى يوم القيامة وهو يوم الوداع، وأن هذه الإشارة تمت بحضور المتكلم والمخاطب ونطقها في زمان ومكان بمرأى منهما، فيوم القيامة يمثل بمشاهدها، ويوم الوداع يذكر بـ (هذا) وَاسْتُعِيرَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُرْبِ الْمَكَانِ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ النَّاسَ حَاضِرُونَ وَقَرِيبُونَ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُدْرِكُوهُ بِأَفْئِدَتِهِمْ وَيَرَوْهُ بِأَبْصَارِهِمْ، وَهَذَا الْحُضُورُ دَاخِلٌ فِي نِظَامِ الْعَلَاقَةِ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ مَعَ الذَّاتِ، وذلك أن المتكلم لا يتكلم إلا في لحظة حضوره في المكان، فيؤكد على الأحداث الواقعة في لحظة النطق (٣١).

(من خلال القيام بفعل الإشارة، يقوم المتكلم بإعلام المخاطب بوجود المُشار إليه) (٣٢)

وهذا الأمر لم يكن خافياً على المخاطب، بل كانت صورة اليوم موجودة في مخيلته مما سمعه في الدنيا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تشهد بمجيء يوم القيامة، وهذا الاقتراح قريب جداً مما جاء به صاحب كتاب (التداولية) حين أكد أن مثل هذا الخطاب بين المتكلم والمخاطب قائم على ، الخطاب بمبناه ولغته ومقاصده، وكأن التخاطب بينهما ليس هو بدايته، بل هو تتويج لمعرفة سابقة، يختبر كل طرف فيها الآخر، ويعرف ما في ذهنه وفي علمه، ويبني كلامه على ذلك الأساس (فهو نتاج طبيعي للعلاقة التداولية التي أثرت وشكلت الشكل الذي ظهر فيه) (٣٣).

ويميزه عن الحاضر بالاعتماد على الشاهد الشعري الذي يؤيد اختياره، ويتضح هذا في تفسيره لقوله تعالى: [لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الملَائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)) (الأنبياء: (١٠٣)). فقوله هناك: ((والإشارة باسم الإشارة القريب لتعيين اليوم وتمييزه بأنه اليوم الحاضر.

وإضافة (يوم) إلى ضمائر المخاطبين لبيان أنه يومهم وأن مصالحهم فيه.

كَقَوْلِ جَرِيرٍ (٣٤):

يا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِينَهُ

هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ خَلَا زَمَنِي

أي هذا الزمن المُختص بك، أي لتتصرف فيه (٣٥)

وذلك لأن قرب المشار إليه (هذا) يدل على تعيين المشار إليه (يومكم) وتمييزه بميزة الحضور المباشر، وذلك يتحقق بإضافة ضمير المشار إليه إلى اليوم، وهذا لا يقال إلا لمن حضر المكان وشاهد اليوم عن قرب، وهذه المشاهدة أو الرؤية قد تكون حسية أو عقلية، لأن اسم الإشارة لا يشار به إلا إلى مشاهدة مرئية، سواء أكانت قريبة أم بعيدة، فإن كان أُشِيرَ بِهِ إِلَى مُشَاهَدَةٍ غَيْرِ مَرْئِيَّةٍ كَالتَّسْبِيحِ . فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَقَ عَلَى مُشَاهَدَةٍ غَيْرِ مَرْئِيَّةٍ كَالْحَمْدِ: هُوَ الْجَنَّةُ.(٣٦)

وذلك استناداً إلى مثال الشاهد الشعري، وذلك لأن النهار محجوز للمؤمن يستمتع بلذاته كما يشاء. فهو يعتمد على قدرته العقلية في استخدام أكبر قدر ممكن من الآليات المعرفية المناسبة لفهم ما يرمي إليه النص بحسب لغته وسياقه. وهذا يتماشى مع ما أكد عليه علماء التداولية من أن قارئ النص لا بد أن يأتي قارئ النص محملاً بمخزون من النصوص السابقة التي تمثل روافد ثقافية وأعرافاً لغوية ووعياً بالتاريخ الأدبي وبنى قبلية للفهم (٣٧).واستعمال الرموز التي لا يدركها المدلول كالشخوص البعيدة أو المعاني الخفية هو استعمال مجازي، لأن الملاءمة بينهما تجعل الدال العقلي دالا حسيا (٣٨).

المبحث الثاني :

الإشارات المكانية

الإشاريات المكانية تختص بتحديد المواقع عبر الانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي ، فالتلفظ في داخل العملية التخاطبية يشير - أحيانًا - بشكل تلازمي إلى وجود المكان المتلفظ به، وهذا مرهون بالإشارة إلى المكان الذي تتركز فيه الذات المتكلمة وقت التكلم ، فالدلالة الإشارية لا تتضح إلا في المكان الذي ينجز فيه الكلام (٣٩).

يستحيل على الناطقين باللغة الأم أن يفسروا مثل هذه الإشارات، تعتمد الإشارة على السياق المادي المباشر الذي تقال فيه، فما لم يُعرف ما تشير إليه الإشارة بناء على المركز الذي تشير إليه الإشارة إلى مكان ما: أريد أن أعمل هنا، ولكنه لم يذكر هذا المكان، فلا يمكن للسامع أن يفهم ما يقصده المتكلم بكلمة (هنا) هنا تعبير دلالي بالمعنى الواسع، ولا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يحاول المتكلم الإشارة إليه (٤٠): الإشارة المكانية بالاسم الرمزي

-الإشارة المكانية عبر أسماء الإشارة :

سبق الحديث عن أسماء الإشارة أنها

مداليل إشارة عن الشخص والزمان ، وهنا ستكون ثالثة الأثافي بإشارتها إلى المكان (٤١) ، كما نوه سابقا

العنصر الدلالي الذي يشير إلى موقع بعيد عن مركز الإشارة المكانية الذي هو المتكلم، والذي يعتمد استخدامه وتفسيره على معرفة موقع المتكلم، أو زمن التكلم، أو موقع آخر معروف لدى المتلقي، ويؤثر هذا القرار المكاني في اختيار العناصر التي تشير إلى مكان قريب أو بعيد، أو في اتجاه ما (٤٢).

اسماء الإشارة في هذا المحور تأتي على ثلاثة أنواع هي : الإشارة الحضورية والإشارة الذهنية والإشارة الوجدانية)

-اشارة حضورية

وَالْأَصْلُ فِي اسْمِ الرَّمْزِ الِاسْتِغْنَاءُ عَنْ زِيَادَةِ وَصْفِ الْمَرْمُوزِ إِلَيْهِ لَفْظًا؛ لِأَنَّ الرَّمْزَ عِبَارَةٌ، وَقَدْ يُتْبَعُ اسْمُ الرَّمْزِ بِاسْمٍ يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الْمَعْنَى، أَوْ بَدَلًا مِنِ اسْمِ الرَّمْزِ كَمَا فِي قَوْلِكَ: هَذَا الْقَائِلُ يَقُولُ هَذَا، حَيْثُ يَكُونُ الْمَرْمُوزُ إِلَيْهِ جُزْءًا مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ وَتَارَةً يُزَادُ الرَّمْزُ إِيضَاحًا بِذِكْرِ اسْمٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْمُرَادُ اسْتِحْضَارُهُ، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ بِتَرْكِ الرَّمْزِ فِي الْيَدِ اعْتِمَادًا عَلَى أَنَّ اسْمَ الْمَرْمُوزِ إِلَيْهِ مُفِيدٌ أَوْ غَيْرُ مُفِيدٍ وَدَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَهُوَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي بَنَى فِيهِ الْكَعْبَةَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا تَفْصِيلَ حَالَةِ الصَّلَاةِ بَلْ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ وَإِظْهَارَ فَضْلِ مَكَانِ الصَّلَاةِ وَجَعْلَ مَكَّةَ بَلَدًا آمِنًا وَإِيتَاءَ الثَّمَرَاتِ لِأَهْلِهَا. وَعَادَةُ الْقُرْآنِ حَذْفُ مَا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْمَقْصُودِ مِنْهُ. (ألا ترى أنه لما جعل البلد مفعولا ثانيا، حذف لبيان أسماء الآيات، وفي سورة إبراهيم (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ)[٣٥] لما جعل الأمان مفعولا ثانيا، جعل أسماء الآيات في كلمة (البلد) ليحصل من الآيتين أن إبراهيم دعا لبلد آمن) (٤٣).

من خلال تفسير المفسر لمشروعية استخدام أسماء الإشارة للتعبير عن الإشارة المكانية، كما في جملة (هذا بلد) التي تشير إلى الموضع (المكان) الذي وقف فيه النبي إبراهيم عليه السلام في صلاته وهو الكعبة المشرفة وَهَذَا مِنْ مَظَاهِرِ التَّعْرِيضِ بِالتَّأَمُّلِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَهْلَهُ كَانُوا مَوْجُودِينَ فِي الْمَكَانِ حِسًّا، وَلِذَلِكَ لَمْ يُشِرْ إِلَيْهِ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِالْيَدِ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمْ يَكُنْ وَقْتَ الصَّلَاةِ إِلَّا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ ولم يحتج إلى ذكر ذلك المكان، لأن إبراهيم عليه السلام لم يكن في وقت الصلاة إلا في مكان واحد (قبلة واحدة)، وقد علم الله تعالى أنه لم يرد إلا ذلك المكان بعينه، وأن إشارته لا تتعدى إلا إلى ذلك المكان.

-الاشارة الذهنية

ولا تقتصر الإشارة المكانية بأسماء الإشارة على الإشارة الحالية (الحاضرة) التي تدركها العين، بل إن استخدام أسماء

الإشارة قد يكون المقصود منه استحضار مكان في الذهن، وهكذا فإن المتكلم يشير إلى مرجع غير موجود ليجعله حاضرا كما يراه العقل أو القلب المدرك، وهو ما يتم التعاقد عليه بين المشاركين في عملية التواصل (٤٤).

(تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ) (الأعراف: ١٠١)تِلْكَ الْقُرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها كقوله هذا بَعْلِي شَيْخاً في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون الْقُرى صفة لتلك ونَقُصُّ خبرا، وأن يكون الْقُرى نَقُصُّ خبرا بعد خبر. وَتَكْرِيرُ ذِكْرِ الْقُرَى لِتَقْرِيبِ ذِكْرِ الْقُرَى مِنَ الْحَاضِرِ. (فلما تكرر ذكر القرى التي كذبت رسل الله وعمم ذكرها بالاسم صارت كالأشياء المشاهدة للسامعين الحاضرة الجديرة بالذكر. وذلك لأن استحضار القرى في الذهن يجعلها كالأشياء المشهودة للسامعين.(٤٥)

ويتضح من هذا النص التفسيري أن تكرار ذكر القرى في القرآن الكريم يعطيها صفة الإشارة الحالية، وذلك لأن اسم الإشارة يقوم بوظيفة تذكيرية لاستدعاء المشار إليه ذهنياً من قبل المشار إليه، لأن المشار إليه كان على علم بالإشارة قبل أن يتم، وكان المشار إليه طبيعياً بين المشار إليه والمتكلم: (فالمتكلم ضمن بنية اجتماعية معينة ينتج تعبيرات لغوية مختلفة ذات إشارات محددة مسبقاً، ويقوم متلقي الكلام بتفسيرها وربطها بالإشارات التي تتعلق بها) (٤٦) .

وقد ذكر القرآن القرى بلفظ (ذلك) إشارة إلى أنها بعيدة، لأن المشركين والمسلمين كانوا يرونها في مواسم الحج أو غيرها من مواسم الحج أو التجارة، فذكر القرآن القرى بـ (ذلك) إشارة إلى أنها بعيدة(٤٧)

ويستمر المفسرون في تحليلهم كاشفين عن فوائد ذكر اسم الإشارة (القرية) (٤٨) وموضحين رأيهم في أن الغرض من هذه الإشارة (القرية) هو العبرة والعظة. ووظيفة السرد القرآني في الاستدلال على الماضي (التجربة الإنسانية الماضية تعطي الكثير من الوضوح والبلورة للتجربة التالية. وتلقي الضوء على التجربة الإنسانية المعاصرة بإظهار أوجه الشبه بينها، وتعطي نظرة ثاقبة للحياة بفتح الذهن على الخطوط العريضة التي تسير عليها الحياة الإنسانية) (٤٩).

ويعني أن تصل الرسالة المتلقى إلى المرسل إليه على نحو يبدو أنه مقصود المتكلم أو غرضه، أو على نحو يبدو أنه الثمرة التي يجنيها المرسل إليه من الخطاب (٥٠).

-الإشارة الوجدانية :

وما تجدر الإشارة إليه : أن الأغراض التي تؤديها هذه الأسماء تكون خاضعة للسياق وإرادة المتكلم الذي يدير الخطاب ويحرك

الشخوص بما يتناسب والمقام التخاطبي ، ويعكس المعاني التي يريد تصويرها ، ولا سيما معاني القرب أو البعد ؛ إذ قد يشير إلى القريب فيزيائيا باسم إشارة للبعيد ؛ لأنه يريد أن يجعله بعيدًا في الخطاب ؛ من جهة شعوره في قرارة نفسه بفاصل وبعد يفصله عنه ، وقد يحدث العكس عند الإشارة إلى البعيد ماديا باسم إشارة للقريب ، وهذه النقطة الجوهرية التفت إليها (جورج يول) ، إذ رأى أن المتكلمين ((الذين يكونون بعيدين عن مواقع بيوتهم لفترة قصيرة ميالون إلى استعمال (هنا) للإشارة إلى موقع المنزل البعيد ماديًا) كما لو كانوا في ذلك الموقع وقت الكلام)) (٥١)

وقد اعتبر التقليديون هذه الإشارة - وهي الإشارة الوجدانية التي تحدث عند انتقال الإشارات المكانية إلى ما يسمى بالمسافة الوجدانية - من باب التجوز في استعمال الأسماء الدالة القريبة والبعيدة، حيث قسم القدماء دلالاتها بما يتناسب مع الدلالات القريبة والبعيدة مثل الاستخفاف والتعظيم.... فهي تعكس العلاقة بين الدال والمدلول (٥٢).

ويفسر الزمخشري (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة : ٢) وقعت الإشارة إلى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى، والمتقضى في حكم المتباعد، وهذا في كل كلام. يحدّث الرجل بحديث ثم يقول: وذلك ما لا شك فيههذا الذكر بقوله: ((اسم الذكر هو المبتدأ والكتاب هو)) التقرير، وعلى ظاهره يكون الذكر هو الكتاب الذي كان معلوما عندهم في ذلك الوقت. وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْقُرْآنِ، وَكُلُّ مَا يَصْحَبُهُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْقُرْآنِ. وَأَسْمَاءُ الْإِشَارَةِ تَقَعُ عَلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ. فَلَا عَجَبَ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْإِشَارَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ اسْمَ إِشَارَةٍ لِلْبَعِيدِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى عُلُوِّ الْقُرْآنِ. وذلك لأن العادة جرت العادة أن يوضع الشيء النفيس في مكان عال صوناً له عن الدروس والأيدي الكثيرة والأشياء الدنيئة، لأنه مهم لأهله .(٥٣)

إن الاعتماد على الاستعمالات العربية ضابط منهجي في قراءة الخطاب الديني، وعلى الرغم من تأثير القرآن الكريم على اللغة العربية، إلا أنه من الشروط الأساسية التي تحدد حدود دلالات الألفاظ ومبانيها ومعانيها عند تطبيق هذا الخطاب.)٥٤)

المبحث الثالث :

الإشارة الشخصية

وهي وحدات لغوية تتجلى صورتها في ضمائر الشخص (٥٥) ، الدالة على المتكلم وحده مثل (أنا) أو المتكلم ومعه غيره مثل (نحن) ، والضمائر الدالة على المخاطب مفردًا أو مثنى أو جمعا ، مذكرا أو مؤنثا ، والضمائر الدالة على الغائب (٥٦) ، وتعد الضمائر - بأنواعها « المتكلم ، والمخاطب ، والغائب خير مصداق على

هـذه الإشـاريات وهـي أكثرهـا شـيوعا (٥٧) وتكمـن أهميـة هـذه الضمائـر في المنظـور التـداولي في التعبـير عـن الـذات المتلفـظ بهـا في اللغـة. (فالـذات المتلفّـظ بهـا تشـير إلى الـذات المتلفّـظ بهـا في السـياق، وقـد يتلفّـظ شـخص واحـد بخطابـات متعـددة، وتتغـير الـذات المتلفّـظ بهـا حسـب السـياق الـذي تتلفّـظ فيـه، وفي الخطـاب التـداولي تكـون هـذه الـذات هـي محور الـكلام) (٥٨). تشـير ضمائـر مثـل (أنـا) و(أنـت) إلى المتكلـم أو المخاطـب، لكـن السـياق مهـم لمعرفـة مـن هـو المتكلـم أو المخاطـب الـذي يشـير إليـه ضمـيرا (أنـا) و(أنـت) (دومينيـك مانغونـو) هـذان الضمـيران ليسـا مجـرد رمزيـن لغويـين، لأنهـما قبـل كل شيء عنـصران يحـولان اللغـة إلى خطـاب (٥٩)، وبعبـارة أخـرى فـإن الضمائـر الشـخصية هـي عنـاصر لغويـة تؤثـر في تحقيـق العمليـة التواصليـة بـين المتكلـم والمخاطـب في الخطـاب، وإذا انفصلـت عـن الخطـاب لا تصـل إلى بعدهـا التـداولي، ومصطلـح الضمائـر الشـخصية معـروف في المدونـة النحويـة العربيـة وهـو لا يقتـصر عـلى الضمائـر، بـل يشـمل ضمائـر المتكلـم وضمائـر المخاطـب وأسـماء الإشـارة، وتدخـل ضمائـر الإشـارة في بعـض الأحيـان ضمـن فئـة الضمائـر الشـخصية، لأن معظمها يشـير إلى الأشـخاص. ((وبفضـل هـذه الضمائـر يمكـن تعيـين الأشـياء والأشـخاص بإشـارات إشـارية مـن خـلال كلمتـي (هـذا) و(ذلـك) مصحوبـة بإشـارات)) (٦٠)).

ومـن خـلال دراسـة العلاقـة بـين المتكلـم والمخاطـب، بـيّن بنفينيسـت أن بنيـة الإسـناد الشـخصي مسـتمدة مـن التطابـق بـين الحـاضر والغائـب، حضـور المخاطـب وغيابه، إن هـذه العلاقـة الوثيقـة التـي تربـط بـين المتكلـم والمخاطـب وتفـرض حضـورًا ضروريًـا ومشـتركًا في عمليـة الخطـاب والتواصـل ، تظهـر بوضـوح في تسـمية (الغيـاب) لـكل مـن لا يشـترط الحضـور (٦١).

وعـلى هـذا الأسـاس قسـمت الإشـاريات الشـخصية عـلى : (إشـاريات الحضـور و إشـاريات الغيـاب) .

أولا : إشاريات الحضور

إن مبـدأ تصنيـف الرمـوز حسـب الحضـور والغيـاب هـو مبـدأ تـداولي بطبيعتـه، فمـن خلالـه يحـدد الدارسـون العلاقـة بـين المرجعيـة اللغويـة للنـص والعـالم الخارجـي. فالضمـير الوجـودي هـو دائمًـا عنـصر رمـزي، لأن مرجعيتـه تعتمـد كليًـا عـلى السـياق الـذي يسـتخدم فيـه (٦٢)، والحضـور يعنـي البقـاء في المجـال التواصـلي الـذي ينطـوي عـلى اسـتخدام المخاطـب لمعطيـات الموقـف وتفسـير معطيـات النـص مـن خلالـه (٦٣). فقـد يكـون هـذا الحضـور حضـورًا للمتكلـم ، نحـو (أنـا ونحـن) وقـد يكـون حضـورا للمخاطـب ، نحـو (أنـت) وفروعهـا ، أو حضـورًا للإشـارة ، نحـو (هـذه) وفروعهـا ، ويمكـن اسـتجلاء هـذه الإشـاريات في أبعادها التداوليـة في تفسـير الزمخـشري قولـه تعـالى : نَحْـنُ أَعْلَـمُ بِمَـا يَسْـتَمِعُونَ بِـهِ إِذْ يَسْـتَمِعُونَ

إِلَيْكَ) الإسراء من الآية : ٤٧) وَافْتِتَاحُ الْجُمَلَةِ بضمير الجلالة لإظهار العناية بمضمونها . وَالْمَعْنَى : أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عِلْمًا حَقًّا دَاعِيَ استماعهم، فَإِنْ كَثْرَتِ الظُّنون فيه فلا يَعْلَمُ أَحَدٌ ذَلِكَ السَّبَبَ وَأَعْلَمُ» اسْمُ تَفْضِيل مستعمل في معنى قوة العلم وتفصيله ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ اللهَ أَشَدَّ عِلْمًا مِنْ غَيْرِهِ إِذْ لَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ (٦٤) على النحو الآتي :

١ - ضمائر المتكلم :

والمقصود من ضمير المتكلم هو الإشارة إلى شخص حاضر في الخطاب، وهو معلوم للحاضرين). فالضمير (أنا) يشير بالضرورة إلى المخاطب، وقوله (أنا) يدل بالضرورة على حضور المتكلم، وهو المخاطب (أنت) فضمير المتكلم هو المحور، وذلك لأن ضمير المتكلم هو الذات المحورية التي تقود إنتاج الخطاب، بل وتتحكم في تحديد نوعه للتعبير عن مقاصده .(٦٥) يعتمد تصنيف الرموز في الأنماط اللغوية على تصنيف الإشارات في الواقع، حيث يشير كل رمز إلى إشارة خاصة بذلك الرمز، مما يؤكد الاتفاق والانسجام بين المتكلم والمجموعة اللغوية التي ينتمي إليها، ولكن هذا الاتفاق والانسجام لا يعني المطابقة.

وتجدر الإشارة إلى أن حضور المدلول ليس مساوياً لحضور المتكلم والمخاطب؛ لأن حضور كل من المتكلم والسامع يرجع إلى التنازع والتواصل بينهما، أما حضور المدلول فهو من حيث لفت الانتباه إلى شيء حاضر في الحضور وهذا لأنَّه من حيثُ هو من حيثُ هو من حيثُ هو، (٦٦).

ولذلك يحكم على هذه العلامات بأن لها استعمالات مقصودة غير مقصودة، ومنها الضمير (نحن) الذي يصنف على أنه علامة شخصية. وذلك لأن هذا الضمير جمع في بنيته السطحية الدالة على التعظيم، ولكنه في بنيته العميقة يشير إلى المتكلم، فقدم هذا الضمير لحصر العلم به (سبحانه) (٦٧).

وهذا ما يلاحظه الباحث من المعالجة التفسيرية لهذا المنهج من خلال تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ((نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى)). الإسراء (آية ٤٧): ٤٧)، يقول: (((والحكمة في وضع ضمير الجلالة في أول الجملة إظهار الاعتبار بمضمونها. وَالْمَعْنَى: اللَّهُ أَعْلَمُ لِمَ يَسْتَمِعُونَ. ولا يخفى على أحدٍ سببُ ذلك، وإنْ كان في ذلك نظرٌ كثيرٌ. وهو اسم تفضيل مستعمل في معنى قوة العلم وتفصيله، وليس معناه أن الله أعلم من غيره لأن المقام لا يقتضيه" (٦٨)، ومن خلال التحليل يكشف المفسر عن السبب الذي من أجله تبدأ الجملة القرآنية بضمير (نحن) وهو إظهار الاعتناء بمضمون الجملة، وهو دليل (خارجي) تداولي (خارجي) على أن المتكلم مدرك لأهميتها

عند المخاطب (٦٩)، وقد جاء هذا الضمير لقصر العلم عليه سبحانه وتعالى، ويسمى هذا الضمير (نحن) لأن دلالته مقصورة على (المخاطب) فقط، وعلى ذوي السلطان خاصة، الضمير (نحن) في القواعد النحوية التداولية يسمى (نحن) عندما يقع في مصطلح (نحن الشامل) أما إذا دل على المرسل فقط فيطلق عليه (نحن القاصرة) لأنها تقتصر في دلالتها على (المرسل) فقط ، ولا سيما صاحب السلطة .(٧٠)

وجاء في نص المفسر ما نصه: (واختار الله هذا الضمير لتأكيد النزعة الذاتية لأنه صاحب السلطان المطلق والعلم المطلق، فناسب أن يدل على القدرة والتصرف والغلبة المتعالية) أن صيغة (أعلم) التي جاءت خبرًا عن نحن القاصرة) لم ترد للمفاضلة في العلم بين الله حاشاه - وغيره ، كما ذهب المفسر، وهو انزياح دلالي تداولي من صيغة أفعل التفضيل إلى اسم الفاعل تأويله : نحن عالمون ، ولو اكتفى المفسر بعلمه اللغوي (النحو) لما عدل عن الصواب، ولكنه كان على علم بمراد القرآن الكريم فاختار المناسب، وكأنه أكمل الدلالة (نحن القاصرون) وقد استكمل دلالة نحن القاصرة ليقصر العلم على الله تعالى من غير أن يشاركه فيه أحد ، فاختار لها ما يناسبها ، ولعل صيغ التعظيم هي الصيغ المفضلة في ذلك (٧١).

ويتضح هذا من قوله: (ولم يكتف مفسرونا بالتحليل اللغوي البحت المقتصر على المعنى المعجمي والنحوي لصيغة (أعلم). وذلك لأن الاعتماد على ذلك لا يمكن أن يؤدي إلا إلى عدم فهم الخطاب القرآني. ولعلمه بأهمية السياق العقدي في فهم دلالات القرآن في هذا السياق جاء اعتماده على السياق العقدي، ولعلمه أن معنى الخطاب لا يتحدد بالتعبير الحرفي عنه، لم يقبل أن تكون صيغة (الله) لم يقبل أن تكون دالة على المفاضلة.

وقد يدل الضمير على أن هناك علاقة شبه مباشرة بين المتكلم والسامع في سياق الخطاب، وقد يدل الضمير على أن هناك علاقة شبه مباشرة بين المتكلم والسامع. وقد يدل رجوع المتكلم إلى الضمير على أن المتكلم والسامع حاضران في مقام التكلم، كما في قول المفسر في قول الله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (١١٩البقرة :)) ، قوله: ((وقد يدل ضمير الفصل على أن الله تعالى يكلمه بلا واسطة أو ضمير كرامة تشريفاً للنبي- صلى الله عليه وسلم - بكرامة الحضور في مقام التكليم مع الخالق، فلم يقل إن الله أرسلك إليه)) (٧٢) .

ويتضح من النص المفسر أن سبب وجود الضمير "نحن" في موقع المسند إليه في جملة إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ هو تشريف حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الحوار الذي دار بين الله تعالى ونبيه

الكريم كان حوارا مباشرا في الكلام جرى من خلال التبادل المباشر للكلام. وكان هذا الحوار هو موضوع المعرفة المشتركة بين الخالق والنبي، وهذا الفهم هو أحد شروط نجاح الحوار، فالحوار هو جوهر عملية الاتصال، والمتكلم يمثل الجوهر الفاعل فيه، من المتكلم، المهيأ لفهمه والتفاعل معه و (٧٣) وهذا ما يتماشى مع الفهم التداولي الذي يرى أنه يوجهه مباشرة إلى المتلقي الجاهز. (٧٤)

ويتضح هذا من كلام المفسر حين يفسر سبب استعماله الضمائر لا الأسماء الظاهرة من جهة الله تعالى. والسبب في ذلك، كما يرى المفسر، أن الضمائر، وإن كانت مجازية، إلا أن الضمائر تدل على حضورها في مجال الكلام الدال على الشفاعة: بخلاف قولك: (الله أرسلك) فكأن الله تعالى يخاطبه بلا واسطة. وهذا يكشف عن أهمية استخدام الرموز، ولا سيما الضمائر الشخصية، لأنها (كخدم متواضعين للغة).

والجدير بالذكر أن كلمة (النبي) مكتوبة بالهمزة في مدونة المفسر (النبي) بالهمزة. والصواب كتابتها بغير اللكنة لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن استعمال اللكنة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تقولوا: النبي، ولكن قولوا: النبي، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن التسمي باسمه) (٧٥).

ولا تقتصر ضمائر المتكلم في القرآن الكريم على الضمائر الوجودية التي وردت في النصين السابقين (٧٦). وفي معالجة الزمخشري قد ترد الضمائر الملكية أيضاً، وسواء كانت الضمائر وجودية أو ملكية، فإن الضمائر التي تشير إلى المتكلم أو تعود إليه هنا تعتبر ضمائر عائدة إلى خارج النص (٧٧).

ويوضح ذلك تفسير صاحب الكشاف لقوله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (السجدة: ١٣): (أضاف كلمة حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي فَلَمْ يَقُلْ : حَقَّ قَوْلِي ؛ لأَنَّهُ أُرِيدَ الإشارة إلى قول معهود: لأنه أشار إلى الحقيقة العرفية. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى، الْحَقُّ الْمُتَعَارَفُ. واستعملت كلمة (من) لتعظيم شأن هذا العلم بأنه من عند الله، الإفادة الانفراد بالتصرف ، فعدل عن ضمير العظمة إلى ضمير الذات: (لأنه الأصل) (٧٨).

وتدل كتابة المفسر على إلمامه بالعلاقة بين القواعد اللغوية والأنماط الاجتماعية. فعندما يكمل المتكلمون كلامهم، في عادة من عاداتهم التداولية، فإنهم يحيلون في آن واحد إلى مرجعين رئيسيين ((مرجعيات تتعلق بالمخزون اللغوي الذي اكتسبوه، والذي يختارونه على أنه مناسب لهم لحظة إتمام الكلام، ومرجعيات تتعلق بالبنى الاجتماعية التي أنتجت البنى اللغوية التي أصبحت راسخة في ذاكرتهم

الجماعيــة)) (٧٩).

وبمـا أن عمليـة الاختيـار هذه ترتبـط بالحقل الـدلالي الـذي تتـم فيـه عمليـة النطـق، فـإن الملامـح تتناسـب مـع حـالات الخطـاب والمعرفـة المسـبقة بـين أطـراف الخطـاب (اللـه عـز وجـل والجـن والإنـس) التـي تـدل عـلى المعرفـة الطبيعيـة بالمقصـود.

وهـذا مـا يسـمح للرؤيـة التفسـيرية للزمخـشري بإسـناد العـدول عـن ضمـير الجمـع إلى ضمـير المفـرد (أنـا) إلى إسـناد القـول إلى اللـه تعـالى. وذلـك لئـلا يظـن أحـد أن اللـه تعـالى يشـاركه أحـد في كلامـه وفعلـه: "ومـن المعلـوم أن الأصالـة في الـكلام والفعـل في اصطـلاح المتكلمـين أن الأصالـة في الـكلام والفعـل تقتـضي أن يكـون للمتكلـم قـدرة عـلى الفعـل الكلامـي والتأثـير في المخاطـب، وذلـك راجـع إلى قدرتـه عـلى إنجـاز الفعـل الكلامـي والتأثـير في المخاطـب. وهـذا يرجـع إلى قـدرة المتكلـم عـلى إنجـاز الفعـل الكلامـي والتأثـير عـلى المخاطـب. ولمـا كان هـذا الفعـل الكلامـي ينتمـي إلى فئـة التعهـد الـذي لا يملكـه إلا المتكلـم، والمتكلـم هـو المسـئول عـن إنجـاز التعهـد، فـإن عـدم وجـود سـلطة تجعـل قول المرسـل -كـما يـرى التداوليـة- في فئـة التعهـد الـذي لا يملكـه إلا المتكلـم. كـما يـرى التداوليـة أن معظـم الـشروط التـي يجـب أن تتوافـر في الفعـل الكلامـي لـكي يعمـل الفعـل الكلامـي تنحـصر في نطـاق المطابقـة بـين سـلطة المتكلـم والقـول الـذي ينطـق بـه المتكلـم، بحيـث لا يتحقـق قـول المتكلـم (٨٠).

فـإذا لم يمتلـك المتكلـم السـلطة التـي تخولـه أن يتفـوه بالـكلام فـإن كلامـه سـيكون عرضة لعـدم التحقق

٢ - ضمائر المخاطب :

وتدخـل هـذه الضمائـر في عنـصر المضـارع الـدال عـلى الحـال ((يفـترض أن المتكلـم يخاطـب ذاتـاً أخـرى تتمثـل في المتلقـي الحقيقـي أو المفـترض للخطـاب، في نفـس الوقـت الـذي يقـول فيـه المتكلـم كلمـة أنـا في الخطـاب: ..... وهـذا مـا يسـمى بتقاطـع الضمائـر، إذ يبـدو المتكلـم في مرتبـة أعـلى مـن مرتبـة المخاطـب، وهـذا هـو الحضـور المقصـود للضمائـر في الخطـاب)) (٨١) فالضمائـر إذن هـي محـور اهتـمام المتكلـم ومقصـده وموضوعـه. ووجودهـا ضروري أيضًـا لأن الضمائـر هـي كيانـات تـدرك الخطـاب وتشـارك في عمليـة توجيـه جوانبـه المختلفـة (٨٢)

لا يتوقـف اسـتعمال ضمـير المتكلـم المفـرد المخاطـب (أنـت) عنـد الإشـارة إليـه في السـياق فقـط، بـل يصبـح مـؤشراً عـلى غرض تواصـلي أبعـد مـن ذلـك (إن إسـناده إلى (أنـت) ينطـوي عـلى اسـتراتيجية للتضامـن في العديـد مـن الخطابـات) (٨٣) ،وهـذا القـول تجـده في مدونـات المفسريـن عنـد تفسـير قـول اللـه تعـالى الموجـه للنبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: (وَمَـا كَانَ اللَّـهُ لِيُعَذِّبَهُـمْ وَأَنْـتَ فِيهِـمْ) (الأنفـال: مـن الآيـة٣٣)، (فبين أن الخطـاب للنبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم)

لى الله عليه وسلم وأتى بضمير (أنت) في خطابه بقوله: (وَأَنْتَ فِيهِمْ) لأنه لم يقل: (وما كان الله ليعذبهم ورسولُه بين أظهرهم) وهو (صيغة لطيفة)) (٨٤).

وفي سياق السورة أن المشركين يستحقون المشقة، ولكن وجود النبي - صلى الله عليه وسلم - بينهم هو السبب في تأخير المشقة، وهو تشريف من الله تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم ، ووجود النبي - صلى الله عليه وسلم - مانع من نزول المشقة.

وتعتمد بعض الوحدات اللغوية، ومنها الضمائر (أنت) على فهم سياق الموقف أكثر من غيرها. ولفهم معنى هذه الوحدات يجب على الأقل معرفة هوية المتكلم والمتلقي، والسياق الزماني والمكاني للحدث اللغوي. (٨٥). وهذا العلم يتضمن علم المخاطب باختيار المتكلم (الله) للمفردات التي يختارها المتكلم، ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى يختار للمخاطب وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما يناسب سياق المقام. ويستعمل الضمائر للتعبير عن مقصوده: وبهذا التعبير المباشر الذي تدل عليه الضمائر يؤكد المتكلم مدى ونوع علاقته بالمخاطب (النبي) ومداهايعبر عن احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، ويجعل المخاطب يصغي إلى المتكلم ويفهم مقصوده. وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كان المتكلم يتوجه إلى المخاطب بميل طبيعي خالٍ من أي دافع أو غرض عملي، فإن ذلك يعزز استراتيجية التضامن وهو عين المجاملة في الخطاب (٨٦).

وبعبارة أخرى: هي طريقة للدلالة على مكانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين القوم، وذلك بتجنب صيغة "وما كان الله ليعذبهم والنبي بينهم". وهذا لا يدل على المخاطبة أو الحوار، وإنما هو من باب الحكاية وغياب النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن ذلك يضعف من استراتيجية التضامن.

لا يمكن أن يتم التواصل إلا بمعرفة المرسل إليه وتحديد هويته، وهو ما يتوافق مع القطب الثاني الكامن وراء وظيفة التواصل، حسب الرؤية التداولية. تنشأ المشاكل خاصة عند استعمال الضمائر، حيث قد لا يكون واضحًا من القرائن اللغوية من هو المرسل إليه.)٨٧) ،وحيثما يذكر القرآن الكريم شيئاً من هذا القبيل فإن المفسر يراعي الظروف التي نزل فيها القرآن الكريم، ومجال نزوله، وقت تداوله، وفترة نزوله، أي العلاقة بين النص القرآني والقوانين والأعراف والعادات والأعراف، ومكان النزول، وأسباب النزول والظروف المحيطة به (٨٨).

٣- أسماء الإشارة :

وتتميز أسماء الإشارة من غيرها من الإشاريات بقابليتها الإشارة إلى الذوات والأماكن والأزمنة ، وأنها من الأعمال اللغوية الإنجازية التي ترتبط بالإجراء

الآني للخطاب والوجود التواجهي (المباشر) بين المتكلم والمخاطب .

تصنف أسماء الإشارة ضمن مجال ضمائر الحضور لأنها تشير إلى الحاضر وقت النطق وتدل على استحضار الذات في الخطاب (لأن اسم الإشارة لا يتحدد إلا بالحضور الفعلي للأشخاص الثلاثة: المتكلم والسامع والمرجع، وهو ما يتطلب التواصل والحضور، أي الحضور في مجال الخطاب) (أي أن الحدث التخاطبي الذي ينتجه المتكلم هو الذي يحدد مرجعية اسم الإشارة) (٨٩)). ولذلك ذهب المتكلمون إلى أن اسم الإشارة من أوضح الدلالات؛ لأن اسم الإشارة من أوضح الدلالات. وذلك لأن ما يشار إليه باسم الدلالة يدرك بالحس برؤيته، ويحدد المكان والزمان الذي يوجد فيه (٩٠).

جاء في مدونة المفسرين في تفسير قوله تعالى: ((وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً)) [سورة المؤمنون: الآية ٢٤]. لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً: (((اسم الإشارة موجه إلى نوح. والمعنى: أن خطاب القوم وقع في وجه نوح حين دعاهم. ولذلك غيَّر القومُ اسمَ نوحٍ من اسمِ معرفةٍ إلى اسمِ إشارةٍ. وكان هذا تصغيراً لشأن نوح في أعين القوم، حتى يستخفوا به ولا يقبلوا قوله). (٩١)

إن التأمل في هذا النص يفضي إلى إدراك مفسره عودة اسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى : (ما هذا إلا بشر إلى نبي الله نوح عليه السلام فهو يُدرج في ضمن الإشاريات الشخصية ، التي تدل على الإشارة (الحسية) التي تتم بحضرة المشار إليه ؛ لأن المتكلمين قد تفوهوا بهذا الكلام في حضور نوح عليه السلام (المشار إليه) وحضور المخاطبين ، وهذا الحضور للأطراف الثلاثة قد وقع في الزمان والمكان أنفسهما، هذا ما يرصد من قوله : « يقتضي أن كلام الملأ وقع بحضرة نوح في وقت دعوته « فلا ينبغي أن ينجز المتكلم إشارته الحسية إلى المشار إليه إلا في لحظة التلفظ ليتم تنبيه المخاطب إليه حتى يتم القصد من التلفظ ، وقد لا يكون نوح عليه السلام - حاضرا في ذلك المقام فأرادوا أن يشيروا إليه إشارة ذهنية .

على سبيل المثال، تشير كلمة "أنا" إلى المتكلم أثناء النطق، وتشير كلمة "أنت" إلى المخاطب في اللحظة التي يخاطب فيها المتكلم المخاطب. وبالإضافة إلى شرط الحضور في موقع المتكلم، يجب أن يكون المشار إليه باسم الإشارة مشارا إليه بإشارة يقوم بها المتكلم لحظة النطق، مما يلفت الانتباه إلى المخاطب" (٩٢).

ثانيا : إشاريات الغياب :

يرى علماء التداولية أن ضمير الغائب يدخل في الإشاريات ((إذا كان حرًا أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي ، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج

من الإشاريات)) (٩٣) وهذا يعني أن الضمير الغائب غير معروف؛ لأنه غير موجود في السياق اللغوي، ولكن القارئ أو المتلقي يستطيع أن يتعرف عليه أو يستنبطه من خلال الاختصاص اللغوي أو التداولي. ويمكن استحضار ذلك في مدونة المفسر من خلال تفسير قوله تعالى: كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التراقي) (القيامة : (٢٦) (والضمير (بلغ) راجع إلى ما لم يذكر في الكلام ولكنه معلوم من الفعل (بلغ) والمرجع التراقي). والضمير في قوله: (بَلَغَتْ) يدل على أنها النفس الإنسانية. فمعناه: إذا بلغت النفس أو الروح، وهذا المعنى يدل عليه الفعل المسند إلى الضمير بحسب تلاعب أهل اللسان اللغوي، كما في قول حاتم الطائي (٩٤)

أَمَاوِي مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى
إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

أي إذا حَشَرَجَتِ النَّفْسُ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْعَرَبِ أَرْسَلَتْ يُرِيدُونَ: أَرْسَلَتِ السَّمَاءُ المطر)) (الكشاف : /) .

وقد أحال المفسر الضمير الغائب (هي) في الفعل (ذكرت) إلى النفس أو الذات، بناء على اختصاصه الموسوعي، رغم خلوه من الإشارة إلى الظواهر اللغوية. وهو في هذا الصدد يولي أهمية قصوى للاصطلاحات اللغوية. وهذا مبدأ تداولي يقوم على قاعدة أن بعض المفردات والتراكيب يكثر ويشيع استعمالها في لغة الأفراد والمجتمعات بحيث يتوقع المرء أن تتفق كلمتان في الاستعمال، بحكم العادة أو الألفة مع كلمة أخرى (٩٥).

فحين ترد كلمة في جملة معينة، يحتاج المتلقي إلى استحضار الكلمة ذهنياً في علاقة الكلمة الأولى ويدرك من خلال ما ورد فيها: "ولكن ذكر الفعلين 'بلغ' و"ذرقي" يدل على أن الفعل 'بلغ' هو النفس البشرية. " ويزيد المفسر في التدليل على صحة منهجه بالاستشهاد بشاهد شعري وشاهد نثري لتأييد اختياره باعتباره فعلاً لغوياً يكتسب شرعيته من بيئته الاجتماعية ويتأثر بها (٩٦).

ولما كان النشاط اللغوي محكومًا بعدد من القواعد والاتفاقات المقبولة اجتماعيًا، فإن مقبوليته تعتمد على استخدامه وتداوله بين أفراد المجتمع. وقد يتم تعيين مرجعيات الضمائر وتفسيرها من حيث الموقع الخارجي عند وجود لبس أو غموض. إن عدم وجود إشارات لغوية في البنية النصية يشجع المفسرين على الاهتمام بالوسائط التداولية وخاصة الموضع الحسي.) ٩٧) فالخطابات على اختلاف أنواعها جزء من خطاب أوسع يمثله خطاب المجتمع الذي يشمل الجانب الاجتماعي في التواصل، إذ أن الذاكرة الجماعية تحمل في طياتها أسساً وقواعد تبرز خصوصيتها عند التحدث بها (٩٨). بالإضافة إلى أن بعض المعلومات المخزونة في الذاكرة الفردية، بما فيها

ذاكـرة المترجـم، أو في الذاكـرة الجماعيـة التـي هـي مألوفـة ومعروفـة لديهـم عنـد إرسـال القصـص عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم إلى مجتمعهـم، هـي أيضاً جـزء مـن مـن الذاكـرة الجمعيـة، وتجنـب الإشـارة إليـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم بالضمائـر هـو مـن دواعـي الاكتفـاء.

الخاتمة

بعـد اسـتكمال مباحـث هـذا البحـث، أمكـن تلخيـص أهـم النتائـج في ثـلاث نقـاط :

: كشـف المبحـث الأول (الإشـارة الزمانيـة) عـن أهميـة التوجـه الزمنـي في تفسـير النـص القـرآني، حيـث بـيّن الزمخـشري دور الـدلالات الزمنيـة في إبـراز أفـق الواقعـة القرآنيـة وربطهـا بلحظـة النطـق والسـياق التخاطبـي، مـا أضـاف للتأويـل بعـدًا حيويًـا متفاعـلاً مـع سـياقات الخطـاب القـرآني.

ثانيًـا: أظهـر المبحـث الثـاني (الإشـارة المكانيـة) إن الزمخـشري تنـاول الموقـع بوصفـه عنـصرًا اتصاليًـا جوهريًـا في تكويـن المعنـى، فالإشـارات المكانيـة لم تقتـصر عـلى الإحالـة الجغرافيـة، بـل تجاوزتهـا إلى بنـاء أفـق تأويـلي يعمـق وجـود النـص في ذهـن المتلقـي، ويدعـم العلاقـة بـين الخطـاب وسـياقه التـداولي.

الثَّالـث: بـيّن المبحـث الثالـث (الإشـارة الشـخصية)

إنّ الضمائـر وأسـماء الإشـارة في شرح الكشـاف مثّلـت وسـيلة أساسـية في بنـاء الهيـكل الخطـابي للنصـوص القرآنيـة، حيـث أسـهمت الإشـارات الشـخصية في إظهـار الوجـود والغيـاب ضمـن المجـال التواصـلي للنـص، الأمـر الـذي أعطـى الخطـاب القـرآني حيويـة خطابيـة مؤثـرة وذات أثـر بالـغ.

لهذه البحوث ما يلي:

- إن دراسـة العلامـات في ضـوء التأويـل السـياقي، كـما عرضهـا الزمخـشري، تؤكـد أن تفسـير النصـوص الدينيـة لا يتـم دون الوقـوف عـلى السـياقات المتنوعـة التـي تدعـم المعنـى وتوجهـه نحـو أفـق أوسـع وأكـثر دقـة، مـما يفتـح المجـال لمقاربـات تأويليـة حديثـة تجمـع بـين الأصالـة والحداثـة.

- وقـد ظهـرت مـن خـلال هـذه الدراسـة أهميـة التأويـل السـياقي وتحليـل الإشـارة في التعبـير داخـل تفسـير الكشـاف للزمخـشري، إذ تبـين أن اسـتنطاق السـياقات الزمانيـة والمكانيـة والشـخصية أسـهم في تعميـق الفهـم الـدلالي للنـص القـرآني، وأكسـبه أبعـادًا تداوليـة غنيـة.

- أوضحـت النتائـج أن الإشـارات الزمنيـة أسـهمت في رسـم ملامـح الزمـن القـرآني وربـط الأحـداث بلحظـات الاسـتقبال، بينـما أدت الإشـارات المكانيـة دورًا رئيسـيًا في بنـاء المشـهد التخاطبـي وترسـيخ دلالات النـص عـبر الإحالـة إلى الحيـز المـكاني أمـا الإشـارات الفرديـة فقـد أظهـرت محوريـة الـذات المتكلمـة والمخاطَبـة، معـززة التفاعـل بـين النـص والمسـتقبل.

وبعد ذلك، تؤكد هذه الدراسة أن التأويل السياقي ليس مجرد استعمال للسياقات في الفهم، بل هو استحضار فاعل للمقام والموقف والخطاب، بما يعيد للنص بريقه الحي بين يدي القارئ المعاصر، وعليه فإن المنهج التأويل السياقي الذي اتبعه الزمخشري يمثل إضافة مميزة في مسار الدراسات التفسيرية واللغوية، بما يشجع الباحثين المعاصرين على إعادة قراءة التراث التفسيري برؤى أكثر شمولًا وعمقًا.

الهوامش:

١-العين : ٨/ ٣٦٩

٢-الراغب : ١٠/١

٣-تفسير الرازي : ١١٩/١

٤-الموافقات ، للشاطبي : ٢٦٣/١

٥-مقاييس اللغة ، ابن فارس : ١١٧/٣

٦-اساس البلاغة : ٤٨٤/١

٧-علم النص ونظرية الترجمة : ٢٩

٨-التداوليه وأفاق التحليل : ٤

٩-الاحكام في اصول الاحكام : ٦٤/٣

١٠-الوجيز في فقه اللغة : ٣٥٦

١١-استراتيجيات الخطاب : ٨٠

١٢- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي لا: ٨٠

١٣-علم اللغة النصي : ١/ ٣٩

١٤-الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي : ٩١

١٥-آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٠

١٦-استراتيجيات الخطاب : ٨٣

١٧-المقاربات التداولية في شرح السيرافي : ٤٥

١٨-آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٠

١٩-لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب : ١٠٦

٢٠-تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة : ٣٧٤

٢١-المشيرات المقامية في اللغة العربية : ٣٥٨

٢٢-المشيرات المقامية في القرآن : ٤٩٠

٢٣- الكشاف : ٤٥/٢

٢٤-المشيرات المقامية في اللغة العربية : ٣٢٥

٢٥-الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم : ٣٦

٢٦-الوصائل في تحليل المحادثة : ٢٤٩

٢٧-الدلالة الزمنية في الجملة العربية : ٤٠
٢٨- الكشاف : ٦٨٠/٤
٢٩-الدلالة الزمنية في الجملة العربية : ٤٠
٣٠-المشيرات المقامية في اللغة العربية :٢٩٢
٣١-المشيرات المقامية في اللغة العربية :٣٢٥
٣٢-ديوان جرير : ٤٨٦
٣٣- الكشاف : ١٣٧/٣
٣٤-المشيرات المقامية في اللغة العربية : ٢٨١-٢٨٢
٣٥-تجليات النقد اللغوي المعاصر في خطاب التفسير : ٢١٠
٣٦-تفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة النصي :١٢٠
٣٧-المقاربات التداولية في شرح السيرافي : ٥٧
٣٨-آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٢
٣٩-المشيرات المقامية في اللغة العربية : ٢٧٥
٤٠-ينظر أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٢
٤١- الكشاف :٥٥٧/٢
٤٢-المقاربات التداولية في شرح السيرافي : ٦٤
٤٣- الكشاف : ٢/ ١٣٥
٤٤- المرجعية اللغوية في النظرية التداولية (بحث) : ١٤
٤٥-المشيرات المقامية في اللغة العربية : ٢٨٧
٤٦-التداولية عند علماء العرب :١٨٦
٤٧-الجدلية التاريخية في القران الكريم : ٧٥
٤٨-التداولية عند العلماء العرب : ١٨٦
٤٩-المشيرات المقامية في القرآن : ٤١١ - ٤١٢
٥٠-وأسماء الإشارة في التعبير القرآني : ٢١٢
٥١-الكشاف : ٣٢/١
٥٢- المكية في القرآن الكريم ، مقاربة تداولية : ٣٢
٥٣-إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: ١/٢٢٥
٥٤-آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٨
٥٥-المشيرات المقامية في اللغة العربية : ١٠٤
٥٦-استراتيجيات الخطاب : ٨٢
٥٧-التداولية واستراتيجية التواصل : ١٦٤
٥٨-المشيرات المقامية في اللغة العربية : ٦٤-٦٧
٥٩-ينظر في بناء النص ودلالته : ١٩
٦٠-آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٨
٦١-الملفوظية : ٢٧
٦٢-اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٩
٦٣-المشيرات المقامية في اللغة العربية : ٢٨٢
٦٤-ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٨٢
٦٥-استراتيجيات الخطاب : ٢٩١
٦٦- الكشاف ٦٧١/٢
٦٧- أثر المكان في فهم الجملة عند سيبويه (بحث) : ٩٠
٦٨-استراتيجيات الخطاب : ٢٩٣ ٢٩٦
٦٩- المشيرات المقامية في القرآن : ١٧٦
٧٠-الهمزة في العربية : ٣٨
٧١-الكشاف : ١ /١٨٢
٧٢-قضايا المتكلم في اللغة والخطاب : ٧٥.
٧٣-لسانيات النص : ١٨
٧٤-الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي : ٩١
٧٥-الكشاف : ٣ :٥١٠
٧٦-الوصائل في تحليل المحادثة : ٢٦١
٧٧-استراتيجيات الخطاب :٢٣٣
٧٨-تلوين الخطاب : ١٠٨
٧٩-قضايا المتكلم في اللغة والخطاب : ٤١
٨٠-استراتيجيات الخطاب : ٢٨٨

٨١-**الكشاف : ٢ /٢١٦**
٨٢-**اشكاليات النص دراسة لسانية نصية : ٤٩٩**
٨٣-**استراتيجيات الخطاب :٢٥٨**
٨٤-**الخطاب القراني دراسة بين النص والسياق :١٠١**
٨٥-**دينامية النص :١٩٥**
٨٦-**المشيرات المقامية في القران :٦٠**
٨٧-**افاق جديده في البحث اللغوي : ٢٢.**
٨٨- **الكشاف ١٨٢/٣**
٨٩-**المشيرات المقامية في اللغة العربية :١٠٣**
٩٠-**افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :١٨**
٩١- **ديوان حاتم الطائي : ٢٣**
٩٢- **الكشاف : ٦٦٣/٤**
٩٣-**المصاحبة في التعبير اللغوي :١٦**
٩٤-**قضايا المتكلم في اللغة والخطاب :٦٧**
٩٥-**نسيج النص :١٣٠**
٩٦-**الوصائل في تحليل المحادثة : ١٣٣**
٩٧- **علم لغة النص : ٣**
٩٨-**الوصائل في تحليل المحادثة : ١٣٣**

(المصادر والمراجع)

- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي العربي، رشيد بن مالك، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ٢٠١٤م.لاحكام في اصول الاحكام، الآمدي، علي بن محمد، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.
-أساس البلاغة، الزمخشري، محمود بن عمر، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧م.
-استراتيجيات الخطاب، عبد الرحمن بودرع، مكتبة الجامعية للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م.
-إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، علي عبد الواحد وافي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦م.
-آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، عبد الجليل مرتاض، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.
-تجليات النقد اللغوي المعاصر في خطاب التفسير، عبد الله صولة، دار محمد علي للنشر، تونس، ٢٠٠١م.
-تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، حسين خمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م.
-التداولية عند علماء العرب، صلاح الدين بن عايشة، دار الفجر، القاهرة، ٢٠١٠م.
-التداولية واستراتيجية التواصل، عمر حلبي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
-التداولية وآفاق التحليل، أحمد المتوكل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠١م.
-تفسير الرازي (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
-تفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة النصي، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
-الجدلية التاريخية في القرآن الكريم، محمد أبو القاسم حاج حمد، دار النذير، الخرطوم، ١٩٨٤م.
-الخطاب القرآني دراسة بين النص والسياق، محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
-الدلالة الزمنية في الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة،

٢٠٠٢م.
-الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم، عبد السلام المسدي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
-ديوان جرير، جرير بن عطية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م.
-ديوان حاتم الطائي، حاتم الطائي، تحقيق يحيى السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.
-العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.
-الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمر، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٤م.
-اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩م.
-مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٩١م
-الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.